جامعة ديالى
كلية التربية الاساسية
قسم التاريخ

تاريخ العراق المعاصر

الأستاذ المساعد الدكتور
قحطان حميد كاظم

١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

المحاضرة الثالثة والعشرون

تاسعاً: حركة رشيد عالي الكيلاني والعقداء الأربعة الانقلابية

بدا الوضع السياسي بعد تشكيل حكومة الهاشمي يميل نوعاً ما إلى الهدوء بعد تلك العاصفة التي حدثت بين الكيلاني والوصي . لكن النار كانت لا تزال تحت الرماد ، فقد كان عنصر الثقة بين الوصي والهاشمي شبه مفقود ، كما كانت الثقة بين الكيلاني ،ومن ورائه العقداء الأربعة المسيطرين على الجيش وبين الوصي قد تلاشت ، وكان الوصي ، ومن ورائه السفارة البريطانية يعمل في الخفاء من أجل تشتيت شمل قادة الجيش تمهيداً للتخلص منهم ومن الكيلاني ، ومارست السفارة البريطانية ضغوطها على رئيس الوزراء من أجل إبعاد العقداء الأربعة عن أي تأثير سياسي في البلاد ، كما ضغطوا على الهاشمي لقطع العلاقات مع إيطاليا ، وكان الهاشمي يخشى رد فعل الشعب إن هو فعل ذلك . ونتيجة لتلك الضغوط ، أقدم الهاشمي ، بصفته وزيراً للدفاع وكالة ، بتاريخ ٢٦ آذار ١٩٤١ على نقل العقيد [كامل شبيب]إلى قيادة الفرقة الرابعة في الديوانية ، ليحل مكانه صديق الوصي، والذي أواه في الديوانية ، اللواء الركن [ابراهيم الراوي] ، كما أصدر قراراً آخر بنقل مقر قيادة الفرقة الثالثة التي يقودها العقيد [صلاح الدين الصباغ] من بغداد إلى جلولاء .

كانت تلك الإجراءات التي اتخذها الهاشمي بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، كما يقول المثل ، فلم يكد يبلغ القرار لقادة الجيش حتى قرروا على الفور التصدي له ورفضه ، واتخاذ التدابير السريعة والضرورية لحل الأزمة بصورة جذرية .

ففي مساء يوم ١ نيسان ١٩٤١ ،أنذر العقداء الأربعة قطعات الجيش في بغداد ،وتم إبلاغها بما ينوون القيام به ، حتى إذا انتصف الليل ، نزلت القوات العسكرية لتحتل المراكز الهامة والحساسة في بغداد ،كدوائر البرق والبريد والهاتف ،والجسور،ومداخل الطرق الرئيسية ،وجميع المرافق العامة في بغداد ،وتوجه العقيد [فهمي سعيد] ، وبرفقته وكيل رئيس أركان الجيش [محمد أمين زكي] إلى دار رئيس الوزراء [طه الهاشمي] وأجبروه على الاستقالة .

واضطر الهاشمي إلى تحرير كتاب استقالة حكومته إلى الوصي ، وسلمها لهما ، حرصاً على عدم إراقة الدماء .[١]

أما الوصي ،فقد أيقضه الخدم من النوم ،وأبلغوه أن هناك أوضاع غير طبيعية في منطقة القصر ، وأن الجيش متواجد في المنطقة ، فما كان من الوصي إلا أن صمم على الهرب مرة أخرى ، واستطاع الإفلات من قبضة الجيش ، ولجأ إلى السفارة الأمريكية ، بعد أن تعذر عليه الوصول إلى السفارة البريطانية ، وقامت السفارة الأمريكية بنقله إلى قاعدة الحبانية ، ومن هناك تم نقله على متن طائرة حربية بريطانية إلى البصرة ، حيث نقل إلى الدارعة الحربية البريطانية [كوك شبير] الراسية قرب البصرة ، وكان برفقته كل من [علي جودت الأيوبي] ومرافقه العسكري [عبيد عبد الله المضايفي] ثم لحق بهم [جميل المدفعي] ،وحاولت السفارة البريطانية الاتصال بأعضاء وزارة طه الهاشمي ، في محاولة لنقلهم إلى البصرة للالتحاق بالوصي ، لكن العقداء الأربعة حالوا دون خروجهم .

كما نصبت القوات البريطانية للوصي إذاعة لاسلكية حيث قام بتوجيه خطاب إلى الشعب في الرابع من نيسان ، وقامت الإذاعة البريطانية في لندن بإعادة إذاعة الخطاب مرة أخرى ، وقد هاجم الوصي في خطابه الكيلاني والعقداء الأربعة ، واتهمهم بالاعتداء على الدستور ، والخروج على النظام العام ،واغتصاب السلطة.

كما أخذ الوصي يحرض قائد الفرقة الرابعة في الديوانية [إبراهيم الراوي]، وقائد حامية البصرة العقيد [رشيد جودت] وعدد من شيوخ العشائر الموالين للبلاط والإنكليز للتمرد على الكيلاني وقادة الجيش ، والزحف على بغداد ، لكن الراوي وجودت رفضا السير مع الوصي بهذا الطريق الذي لو تم لوقعت حرب أهلية لا أحد يعرف مداها .

تشكيل مجلس الدفاع الوطني :

بادر العقداء الأربعة ، بعد هروب الوصي إلى تشكيل مجلس الدفاع الوطني ، وتم اختيار[رشيد عالي الكيلاني] رئيساً للمجلس ليقوم مقام مجلس الوزراء .

وفي أول اجتماع لمجلس الدفاع الوطني قرر المجلس إرسال مذكرة إلى الحكومة البريطانية تحذرها من التدخل في شؤون العراق الداخلية ، وتقديم الدعم والمساندة للوصي عبد الإله ، كما قرر المجلس إرسال قوات عسكرية إلى البصرة لمنع أي تحرك ضد مجلس الدفاع الوطني ، وتم اعتقال متصرف البصرة [صالح جبر] الذي قطع صلاته ببغداد تضامناً مع الوصي ، وتم تسفيره إلى بغداد .

عزل عبد الإله وتعين شريف شرف وصياً على العرش :

رداً على تحركات الوصي الرامية إلى إسقاط حكومة الدفاع الوطني ، وهروبه من العاصمة ، وتعاونه مع المحتلين البريطانيين في هذا السبيل ، فقد وجهت حكومة الدفاع الوطني إنذاراً له بالعودة إلى بغداد فوراً وإلا فإنها ستضطر إلى عزله من الوصاية ، وتعين وصي جديد على العرش بدلا منه . ولما لم يستجب عبد الإله إلى الإنذار قررت حكومة الدفاع الوطني عزله من الوصاية ،وتعين [الشريف شرف] وصياً على العرش بدلاً عنه ، وقد صادق البرلمان على هذا الإجراء في جلسته المنعقدة في ١٦ نيسان ١٩٤١ .

عاشراً:القوات البريطانية تسقط حكومة الكيلاني،وتعيد عبد الإله :

تسارعت التطورات في البلاد بعد أحكام سيطرة رشيد علي الكيلاني والعقداء الأربعة على مقاليد الحكم ، ولاسيما وأن الحركة قد لاقت تأييداً واسعاً من أبناء الشعب عامة ، الذين كانوا يحدوهم الأمل في التخلص من الاستعمار البريطاني الذي أذاقهم الأمرّين ، ولم يدركوا أن الأستعمار الألماني البديل أسوأ منه ، وهكذا أصبحت الأمور صعبة للغاية بالنسبة لبريطانيا ، وتنذر بمخاطر كبيرة . وبناء على ذلك طّير السفير البريطاني [كورنوليس] برقية إلى المستر تشرشل . رئيس الوزراء . جاء فيها :

((إما أن ترسلوا جيشاً كافيا إلى العراق أو انتظروا لتروا البلاد في أيدي الألمان)) .

فلما اطلع تشرشل البرقية أسرع بالإبراق إلى وزير الهند لإرسال قوات عسكرية، وإنزالها في البصرة على عجل . [٢]

كانت الحكومة البريطانية قد أبلغت العراق قبل وقوع الانقلاب أنها عازمة على إنزال قوات في البصرة لنقلها عبر العراق إلى حيفا في فلسطين حيث تقتضي ضرورات الحرب ، وبموجب المعاهدة العراقية البريطانية يحق لبريطانيا ذلك ، بعد إبلاغ ملك العراق بذلك ، ولذلك فقد اتصل القنصل العام البريطاني في البصرة بوكيل المتصرف ، يوم ١٠ نيسان ، وأبلغه أن فرقة من الجيش الهندي على ظهر ثلاث بواخر حربية ، وبحراسة طرادين حربيين وثلاث طائرات سوف تدخل المياه الإقليمية

العراقية خلال ٤٨ ساعة ، وطلب منه إبلاغ حكومته بذلك ،للموافقة على نزول تلك القوات في البصرة .

كما قام مستشار وزارة الداخلية ، المستر [ادمونس] في بغداد بزيارة رئيس الوزراء ، الكيلاني، وابلغه بنفس الأمر .[٣]

وعلى الفور أجتمع مجلس الوزراء وبحث الأمر ، وبعد مناقشة مستفيضة ،اتخذ قرارا بالسماح للقوات البريطانية بالنزول ، وفق الشروط التي اتفق عليها في ٢١ حزيران ١٩٤٠ ، والتي نصت على نزول القوات لواء بعد لواء ، على أن يبقى اللواء مدة معقولة ، وهو في طريقه إلى فلسطين ، ثم يليه نزول اللواء التالي ، بعد أن يكون اللواء السابق قد غادر الأراضي العراقية ، وعلى الحكومة البريطانية أن تشعر الحكومة العراقية بعدد القوات المراد إنزالها .[٤]

كما قررت الحكومة العراقي إيفاد اللواء الركن [إبراهيم الراوي] إلى البصرة لاستقبال القوات البريطانية ، كبادرة حسن نية من الحكومة . لكن بريطانيا كانت قد قررت غزو العراق ، وإسقاط حكومة الكيلاني بالقوة ، وإعادة عبد الإله وصياً على عرش العراق ، وكانت تعليمات القيادة البريطانية تقضي باحتلال [منطقة الشعيبة] في البصرة ، واتخاذها رأس جسر لإنزال قواتها هناك ، والانطلاق بعد ذلك إلى بغداد .

وفي يومي ١٧ و ١٨ نيسان ١٩٤١ نزلت القوات البريطانية في البصرة، وعلى الفور أبرق رئيس الوزراء البريطاني تشرشل إلى الجنرال [ايمسي] في رئاسة الأركان البريطانية ، يأمره بالإسراع بإنزال ٣ ألوية عسكرية في البصرة ، وقد بدا واضحاً من تصرف تلك القوات أنها لن تغادر العراق ، كما هو متفق عليه، بل لتبقى هناك حيث قامت بحفر الخنادق وإقامة الاستحكامات ، وترتيب بقائها لمدة طويلة . وفي ٢٨ نيسان ١٩٤١ أبلغ مستشار السفارة البريطانية في بغداد وزارة الخارجية العراقية بنية بريطانيا إنزال قوة أخرى قوامها ٣٥٠٠ جندي وضابط ، في ٢٩ نيسان ، وقبل رحيل القوات التي نزلت في البصرة قبلها . وعند ذلك أدركت حكومة الكيلاني أن بريطانيا تضمر للعراق شراً ، وأنها لا تنوي إخراج قواتها كما جرى عليه الاتفاق من قبل ، بل لتستخدمها لاحتلال العراق من جديد ، وعليه اتخذت قرارها بعدم السماح لنزول قوات بريطانية جديدة في البصرة قبل مغادرة القوات التي وصلت إليها من قبل.

كما طلبت الحكومة العراقية من السفير البريطاني تقديم أوراق اعتماد حكومته كدليل على اعتراف بريطانيا بالوضع الجديد في العراق .[٥]

وفي الوقت نفسه قررت الحكومة العراقية القيام بإجراءات عسكرية احترازية لحماية العراق ، وأصدرت بياناً إلى الشعب بهذا الخصوص ،وقد أشار البيان إلى إخلال بريطانيا بنصوص معاهدة التحالف ، وأن الحكومة قد قدمت احتجاجاً رسميا إلى الحكومة البريطانية ، كما أشار البيان إلى عزم الحكومة على التمسك بحقوق العراق ، وسيادته واستقلاله .

لكن الحكومة البريطانية تجاهلت مواقف الحكومة العراقية واحتجاجاتها ، وأنزلت قوات جديدة في البصر في ٣٠ نيسان ، وحاولت تلك القوات قطع الطريق على القوات العراقية المتواجدة هناك ، لكن القوات العراقية استطاعت الانسحاب إلى المسيب ، مقرها الدائم ، وكررت الحكومة احتجاجها على تصرفات القوات البريطانية ، لكن الحكومة البريطانية تجاهلت ذلك الاحتجاج ، وأقدمت على ترحيل الرعايا البريطانيين من الموظفين ، وأصحاب الشركات ، والعاملين فيها ، كما أوعزت لهم بتهريب موجودات البنوك من العملات .

وهكذا أيقنت الحكومة أن الصِدام بين الجيشين العراقي والبريطاني أمر حتمي، وقررت اتخاذ عدد من الإجراءات العسكرية لحماية بغداد .

فقد أرسلت عدداً من قطعاتها العسكرية إلى المنطقة القريبة من [الحبانية] حيث توجد قاعدة جوية بريطانية كبيرة . لكن ثلاث أسراب من الطائرات البريطانية قامت على الفور بقصف تلك القوات المتمركزة في [سن الذبان] بجوار بحيرة الحبانية وذلك صباح يوم الجمعة المصادف ٢ أيار ١٩٤١ ، وبذلك اشتعلت الحرب بين العراق وبريطانيا، وقام على الأثر السفير البريطاني بإصدار بيان موجه إلى الشعب العراقي ،كان قد أعده سلفاً، هاجم فيه بشدة حكومة الكيلاني ، واتهمها بشتى التهم ، وبذلك كشف البيان عن جوهر السياسة البريطانية وأهدافها الاستعمارية العدوانية تجاه العراق .

وفي اليوم نفسه قدم السفير البريطاني إنذاراً للحكومة العراقية بسحب قواتها من أطراف الحبانية ، وهدد باتخاذ أشد الإجراءات العسكرية ضدها .

وعلى اثر تلك التطورات والأحداث المتسارعة ، أجتمع مجلس الوزراء ، واتخذ قرارات هامة للدفاع عن العراق ، كان منها :

١. إعادة العلاقات مع ألمانيا ، والطلب بإرسال ممثلها السياسي على الفور،وطلب المساعدة منها .

٢ . إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي فوراً .

٣. نشر بيان صادر من رئيس الوزراء حول العدوان البريطاني على القوات العراقي

٤ . إرسال احتجاج إلى الحكومة البريطانية على تصرفاتها تجاه العراق .[٦]

وعلى الأثر قام الوزير العراقي المفوض في تركيا بمقابلة السفير الألماني[فون بابن] وطلب منه تقديم كل مساعدة ممكنة للصمود بوجه القوات البريطانية ، وقد أبلغه السفير الألماني أن تقديم المساعدة يتطلب مدة من الزمن ، وسأله كم من الزمن تستطيع القوات العراقية الصمود أمام القوات البريطانية ، وأخيراً تم الاتفاق على إرسال عدد من الأسراب من الطائرات الحربية الألمانية للدفاع عن مدن العراق التي أخذت تتعرض لقصف الطائرات البريطانية ، ريثما يتمكن الألمان من تقديم مساعدة فعالة للحكومة العراقية .[٧]

وفي الوقت نفسه غادر الدكتور [كروبا] سفير ألمانيا السابق في العراق متوجهاً إلى بغداد لفتح السفارة الألمانية ، حيث وصلها في ١٨ أيار ، وبصحبته ٥ طائرات حربية ، وبعثة عسكرية جوية برئاسة الفيلد مارشال [فون بلومبرج] .

لكن المارشال الألماني أصيب قبل هبوط طائرته في مطار بغداد بصلية من الطائرات البريطانية، وقتل قبل نزوله في بغداد وذلك خلال اشتباك جوي مع الطائرات البريطانية.[٨]

وفي الوقت نفسه تلقى العراق كميات من الأسلحة عن طريق سوريا ، حيث كانت ألمانيا وإيطاليا قد استولت على تلك الأسلحة بعد انهيار فرنسا .

فقد حصل العراق على ١٥ ألف بندقية ، و٣٥٤ مسدساً و٥ ملايين خرطوشة مدافع رشاشة ،و٩٩٩٩ قنبلة عيار ٧٥ ملم ، و ٦٠٠٠ قنبلة عيار ١٥٥ ملم و٣٠ ألف قنبلة يدوية ،و ٦٠٠٠ قنبلة زمنية ، وغيرها من الأجهزة العسكرية والمتفجرات وأجهزة الاتصال اللاسلكية وغيرها. [٩]

ورداً على سحب موجودات البنوك ، أعلن الكيلاني انسحاب العراق من منطقة الإسترليني ، وحاول تغير العملة بالتعاون مع المانيا ، لكن الزمن لم يمهله لتنفيذ ذلك ، القوات فقد تصاعدت الأزمة بعد أن فتحت البريطانية النار على القوات العراقية المتواجدة في البصرة ، واستطاع الفوج العراقي الموجود هناك الانسحاب من المنطقة في ٢ أيار ١٩٤١ .

أدى تصرف القوات البريطاني إلى هياج عام في صفوف الشعب العراقي ، وتوالت فتاوى رجال الدين تدعو للجهاد ضد المحتلين البريطانيين ،وكان على رأسهم المرجع الديني الأكبر لطائفة الشيعة [أبو الحسن الموسوي الأصفهاني] والإمام [محمد حسين آل كاشف الغطاء] اللذان دعيا الشعب العراقي للجهاد ضد المحتلين البريطانيين .

كما ناصرت الشعوب العربية شعب العراق في كفاحه ضد الاستعمار البريطاني .

تأسيس الجامعة العربية :

كان الحلم العربي باستقلال البلاد العربية التي ظلت تحت نير الاستعمار العثماني لأربعة قرون ، وإقامة وحدة عربية ، يراود أبناء الأمة العربية التي عانت أشد المعانات من ذلك الحكم البغيض .

لكن العرب صُدموا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عندما نكث المستعمرون الجدد بريطانيا وفرنسا بالوعود التي قطعوها لهم ، وتبين أنهم قد قرروا اقتسام البلاد العربية فيما بينهم بموجب معاهدة [سايكس بيكو] ،وهكذا وجد العرب أنفسهم مرة أخرى تحت نير استعمار عالمي جديد.

لكن عزم الشعب العربي على تحقيق الاستقلال ، وإقامة الوحدة العربية لم يفتر، وبقيت الجماهير العربية تناضل من أجل تحقيق هذا الهدف ، وخاضت ضد المحتلين الجدد معارك قاسية ومتواصلة وقدمت الآلاف من الضحايا في هذا السبيل .

وعندما قامت حكومات محلية في العراق ، وسوريا ، ومصر وشرق الأردن ، واليمن ، والسعودية ، ظلت الجماهير العربية تضغط على حكامها من أجل التحرر الحقيقي قيام والوحدة العربية على أسس ديمقراطية ،بعيداً عن الهيمنة البريطانية والفرنسية ، ونتيجة لذلك جرت لقاءات بين تلك الحكومات للبحث في موضوع الوحدة .

لكن إرادة المستعمرين الجدد كانت فوق الشعوب العربية ، لأن الوحدة لا تتفق ومصالحهم إطلاقاً ، ولذلك فكر المستعمرون في طريقة لامتصاص مطالب الجماهير العربية في الوحدة ، فكان مشروع إقامة نوع من الارتباط بين تلك الأقطار يحتفظ بموجبه كل قطر عربي باستقلاله ، فكان مشروع الجامعة العربية وبناء على ذلك عقد الحكام العرب مؤتمراً لهم في القاهرة في٢٢ أيار١٩٤٥، وتقرر في ذلك المؤتمر إقامة الجامعة العربية .

لكن الجامعة العربية لم تستطع تحقيق حلم الشعوب العربية في الوحدة الحقيقية ، والديمقراطية ، فقد كان تأثير تلك الهيمنة البريطانية والفرنسية على الحكام العرب بشكل أكبر عائق ، وأثبت الأيام أن الجامعة العربية لن تحقق طموحات الأمة العربية ، بل على العكس من ذلك انتقلت إليها الصراعات العربية ، وأخذت سلطتها تضعف شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت قريبة من التلاشي ، ولم يبقَ لها سوى دور ثانوي في القضايا العربية .

الهوامش

(١) عبدالرزاق الحسني،تاريخ الوزارات العراقية، ج٥ ،ص ٢١٣ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٥٤ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٣ .

(٨)المصدر نفسه، ص ٢٦٥ .

(٩) المصدر نفسه، ٢٦٤. المصادر

١.عبدالرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب العراقية.

٢.عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية(١٠ جزء).

٣.عبدالرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث(٣ جزء).

٤.عبدالرزاق محمد اسود، موسوعة العراق السياسية(مجلد ١-٣).

٤.فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق ١٩٢١-١٩٣٢.

٥.جعفر عباس حميدي وابراهيم خليل احمد، تاريخ العراق المعاصر.

٦.فاضل حسين، الفكر السياسي في العراق المعاصر.

٧.عبدالجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨- ١٩٥٨.

٨.فيبي مار،تاريخ العراق المعاصر، العهد الملكي.

٩.جرالد دي غوري، ثلاثة ملوك في بغداد .

١٠.ستيفن همسلي لونكريكك،العراق الحديث من سنة ١٩٠٠- ١٩٥٠.